العاقل

أسيد بن حضير

رضي الله عنه

اضبط أعصابك عند الغضب تحمي نفسك

وتعطي الأمان لمن حولك

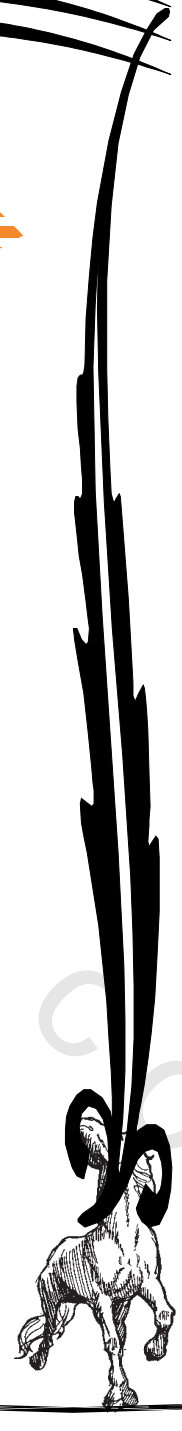

obeikandl.com

« حسنا .. سأذهب إلى ذلك الفتى لأرى ماذا يريد أن يفعل ».

هتف بها أسيد بن حضير أحد زعماء الأوس في المدينة، لصديقه سعد بن معاذ بعد أن أثاره ضد مصعب بن عمير ودفعه إلى أن يذهب إليه ليوقفه عما يفعل.

وفي غضب واضح، أخذ أسيد حربته وانطلق إلى بيت أسعد بن زرارة حيث يقيم مصعب بن عمير، وكله عزم على أن يكون هذا اللقاء هو لقاء النهاية لدعوة مصعب في المدينة.

وبمجرد أن وصل إلى منزل أسعد، وجد «مصعبا» يخطب في الناس في أحد دروسه بالمدينة، وبكل تجهم قاطعه أسيد بن حضير قائلا:

– يا مصعب..اخرج من بلادنا إن كان لك رغبة في البقاء حيا.

فوجئ مصعب بهجوم أسعد، إلا أنه ما لبث أن فاجأ أسيدا بهدوئه وابتسامته وهو يقول له:

– هل لك في أن تجلس فتسمع ؟ فإن رضيت أمرنا قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره.

وما كان لأسيد – والذي كان يعرف بحكمته وعقله المستنير بين قومه، حتى إنه لقب كما لقب أبوه من قبل بلقب (الكامل)– ألا يقبل بعرض مصعب.

فلم يكن أمام عرض مصعب المنطقي إلا أن يقبله أسيد، فقال له وهو يغرس حربته قبل أن يجلس :

– لقد أنصفت.

ثم نظر إليه وهو يتابع:

– تحدث..فإني أسمعك.

وبدأ مصعب حديثه ببعض آيات من القرآن الكريم..

لم يسمع أسيد هذه الكلمات من قبل..

ولم يعهد قلبه ذلك التأثير الساحر..

ولم يستسلم عقله لمعان من قبل، كما استسلم لتلك المعاني التي قرأها مصعب عليه.

وقبل أن يبدأ مصعب في شرح دعوته، كان وجه أسيد يتغير شيئا فشيئا بصورة واضحة، جعلت الجلوس يعرفون أن أسيدا قد اقتنع بالفعل، وأنه على وشك أن ينطق بالشهادة.

حتى إن أسعد بن زرارة قال واصفا المشهد:

– والله لقد عرفنا في وجه أسيد الإسلام قبل أن يتكلم.

ولقد كانوا على صواب..

فبمجرد أن فرغ مصعب من حديثه، حتى قام أسيد في هدوء وقد اكتسى وجهه بهدوء

واطمئنان لا حدود لهما وهو يقول:

- ما أحسن هذا الكلام وأجمله..

كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

قال له مصعب في فرح وحماس:

- تطهر بدنك، وثوبك، وتشهد شهادة الحق، ثم تصلي.

لقد بعث سعد بن معاذ صديقه أسيدا في مهمة قصيرة، كان عليه أن ينهيها بتوقف مصعب عن دعوته أو ترك البلاد نهائيا.

وها هو يعود من رحلته القصيرة مسلما، ليصبح امتدادا لدعوة مصعب في المدينة.

والآن جاء الدور على أسيد أن يبعث صديقه «سعدا» لمهمة مشابهة.

وابتكر أسيد حيلة طريفة ليضع صديقه في مواجهة مع ذلك الفتى المذهل.. مصعب بن عمير.

وبمجرد أن دخل أسيد على سعد بن معاذ، والذي لاحظ تغير وجهه جيدا، قال له في ثقة لم تقنع سعدا:

-قلت لهم أن يكفوا فاستجابوا لي.

ثم تابع وهو يجلس قائلا:

- إلا أنني أخشى على ابن خالتك أسعد بن زرارة.

اعتدل سعد بن معاذ في مجلسه واتسعت عيناه وهو يقول:

تخشى على أسعد.. من ماذا ؟!

قال أسيد:

- لقد علمت أن هناك من يدبر له ليقتله من بني حارثة ، نكاية فيك وانتقاما منك، وإني أرى أن تذهب إليه لترى الأمر بنفسك، وتقرر ما تفعله.

ورغم شكوك سعد بن معاذ وغموض الموقف أمامه، إلا أنه لم يجد بدا من أن يذهب إلى مصعب ليفك هذا الغموض، ويتخلص من تلك الحيرة.

وذهب سعد إلى مصعب، ليتكرر نفس الموقف، وتتحقق نفس النتيجة.

فلقد أسلم سعد بن معاذ..

فبعد أقل من ساعة نجح أسيد بن حضير في أن يدخل زعيما كبيرا كسعد بن معاذ في الإسلام، ليكون له شأن عظيم ومكانة رفيعة بما قدم له طيلة حياته.

وملكت أسيد الفرحة والسعادة بعد علمه بما حدث، وأخذ يكمل طريقه في خدمة الإسلام- والذي بدأه من أول ساعة – مستغلا حكمته وخبرته واستنارة عقله.

ولقد ظهرت هذه الحكمة بقوة فيما حدث بعد غزوة بني المصطلق.

ففى السنة السادسة من الهجرة، أراد الحارث بن أبي ضرار سيد قبيلة «بنى المصطلق» أن يهاجم المدينة، وبعث بجاسوس يستطلع الأمر..وعندما علم الرسول ﷺ بالخبر، خرج بجيش صغير ليؤدب الحارث، وأسرت جويرية بنت الحارث ابنته، ثم أعتقها الرسول ﷺ وتزوجها بعد ذلك.

إلى هنا والحدث عادي جدا، والغزوة أقل بكثير من أن تأخذ شهرة واسعة.

إلا أن الذي شهر تلك الغزوة، هو موقف زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول..

فبعد أن حدث خلاف بسيط بين المهاجرين والأنصار في الطريق إلى المدينة، خرج حقده الدفين فجأة، وأخذ يؤلب الأنصار على المهاجرين ويلومهم على ما قدموه من تضحيات لهم، بل إنه وصل إلى مداه عندما هدد بطرد الرسول ﷺ والمهاجرين من المدينة بعد العودة إليها، فكان يقول:

«أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل».

ووصل الخبر إلى رسول الله ﷺ عن طريق الغلام زيد بن الأرقم، وقبل أن يتطور الأمر وتفتعل أزمة من لا شيء، تدخل أسيد بن حضير وأخذ يقنع رسول الله ﷺ بتجاوز الأمر والتماس بعض العذر لعبد الله بن أبي بن سلول قائلا:

«يا رسول الله ، أنت إن شاء الله العزيز وهوالذليل، ولكنى أرجوك أن ترفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه على المدينة ملكا، فهو يرى أن الإسلام قد سلبه ملكا».

عالج أسيد الموقف بحكمة وهدوء معروفين عنه طيلة حياته..

إلا أن الموقف الذي كان يحتاج حكمته وهدوءه بشدة..

هو موقف يوم السقيفة.

كان الأمر خطيرا هذه المرة.

توفي الرسول ﷺ وجاء الحديث عن اختيار الخليفة الذي لم يحدده رسول الله ﷺ.

واختلف المهاجرون والأنصار حول من الأحق بالخلافة..

ووقف سعد بن عبادة على رأس فريق الأنصار الذي يطالب بالخليفة من بينهم، واحتد النقاش في أول اختبار للمسلمين بعد رسول الله ﷺ.

وهنا يظهر السيد الحكيم أسيد بن حضير ليحسم الموقف ويحل المشكلة.

عندها وقف أسيد بن حضير معتمدا على مكانته في قومه وثقتهم فيه وفي حكمته ورأيه، ونادى في فريق الأنصار قائلا بكل حزم:

« أيها الأنصار..تعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين..

فخليفته إذن ينبغي أن يكون من المهاجرين..

ولقد كنا أنصار رسول الله..

وعلينا اليوم أن نكون أنصار خليفته»..

انتهت كلمات أسيد..وانتهى معها الخلاف وانتهت معها المشكلة ليتم اختيار أبي بكر خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ.

وظلت حكمة أسيد وأخلاقه الرفيعة، سببا في حفظ مكانته الرفيعة أيام أبي بكر وفي عهد عمر.

كان حريصا دائما أن يجمع ولا يفرق، وأن يقضي على أسباب الخلاف والفرقة قدر ما استطاع.

ولم يكن أسيد ليصل لذلك، إلا إذا كان شخصا محبوبا بخلقه بين الناس، وبما أراد الله له من هذا الحب ، بعد أن ظل يجتهد في عبادته ويتقرب إلى الله.

فأحبه الله، وأوحى لعباده أن يحبوه كما أحبه، وكما أحبته الملائكة، والتي اقتربت منه ذات ليلة لتستمع إلى القرآن بصوته العذب الرقيق.

إلى أن جاء شهر شعبان من سنة عشرين من الهجرة.

ليأتي موعد لقاء أسيد مع ربه..

ويموت أسيد بن حضير..

سيد الأوس المتواضع العاقل الحكيم المهذب.. والذي كان له من المكانة والاحترام والتقدير، ما جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يأبى إلا أن يحمل نعشه فوق أكتافه، ليدفن في بقعة طاهرة من أرض المدينة.. في البقيع.

ويلقي عليه أهل المدينة نظرتهم الأخيرة، بينما تتردد في أذنهم كلمة رسول الله ﷺ عنه:

« نعم الرجل.. أسيد بن حضير».

سلاما أسيد..كنا في أمس الحاجة إليك..

وإلى كل حكيم..يجمع ولا يفرق.

* * *

دروس وتحليل

١- حسن الإنصات والموضوعية في التفكير يهديان الإنسان إلى الحق، والعناد الأعمى يحرم صاحبه من رؤية الصواب ويجعله ملازما للضلال.(موضوعية أسيد بن حضير في التفكير كانت سببا في هدايته للحق وإسلامه)

ما الذي يجعل شخصا غاضبا متحفزا مستجمعا قوى الشر لديه، أن يغير موقفة مائة وثمانين درجة بعد ربع ساعة أو نصف ساعة من حوار دار بينه وبين الشخص الغاضب منه كل هذا الغضب؟

إنها الموضوعية التى دعت «أسيد بن حضير» إلى التفكير بحيادية، ودفعته إلى التفكير في كلام مصعب بمنطقية كانت كفيلة باتخاذه قرار دخول الإسلام.

هناك من الناس من يحاور الآخرين وهو مصر على ألا يفكر ولو لثوان في وجهة نظرهم، وهو يفترض في حواره دائما، أن كلامه كله صحيح لا يحتمل الخطأ، وكلام غيره خطأ لا يحتمل الصواب، وهى طريقة كفيلة بأن يفقد الحوار مغزاه وهدفه، وهو تواصل الأفكار والوصول إلى الحقيقة. ولابد حتما أن تتوه الحقيقة عندما يحاول كل شخص أن يدافع عن وجهة نظره وكأنها هي الحقيقة المطلقة، بدون أن يكون لديه أدنى استعداد لأن يقتنع بشيء آخر.

هذه الشخصيات لا يمكن أن تتغير، ولا يمكن أن يتجاوب معها الناس؛ لأنها ستفقد الأمل فيهم، بعد أن تأكدوا أن هذه النوعية لا ترى إلا رأيها.. ولا تقبل سواه.

٢- إذا كنت تحب صديقك فأنت تسعى إلى هدايته (أسيد بن حضير يفكر في حيلة يجعل بها صديقه سعد بن معاذ يقابل مصعب بن عمير، وينجح في حيلته).

ما معنى أن تحب صديقا لك، وأنت تعلم أنه يرتكب المعاصى ليل نهار دون أن تنصحه ؟ وما معنى أن تحب صديقا لك، وأنت تدعوه إلى مشاهدة فيلم فاضح أو معاكسة فتيات في الطريق، أوالاستهزاء بشاب أدى فرض الصلاة، أو شرع في التقرب من الله ؟

ما معنى أن تحب صديقك بهذا الشكل، وأنت تعلم أنه ينتظر حسابا مريرا يوم القيامة، وأن الله غاضب عليه لا محالة من جراء تصرفاته، وأنت لا تسعى إلى نصحه وإرشاده، مستغلا ما بينكما من ود ومحبة ؟

هل ستفرح عندما تجد صديقك يعذب في النار ؟ هل ستفرح عندما يتبرأ الرسول من أفعاله يوم الحساب ؟

إن الحب بين الأصدقاء لابد أن يدفع إلى النجاة، ليس من أزمات الدنيا فقط، ولكن من أزمات الآخرة أيضا.. وهي أقسى وأشد.

ما أجمل أن نحث بعضنا على طاعة الله، فنظل دائما تحت رعايته، وفي أمنه وظل رحمته.

٣- من أراد أن يجمع الناس ولا يفرقهم، فليعتد عدم التعصب للرأي، والتنازل عن المنصب والمكانة.(أسيد بن حضير يرجح كفة المهاجرين على الأنصار في اختيار الخليفة).

قليل هم الذين يريدون تجميع الناس ويسعون إلى وحدتهم، وهو أمر صعب لا يكفي فيه الكلام، بل يتطلب شخصية مرنة تتحمل الأذى ولا تتعصب لرأيها تعصبا أعمى، شخصية تحترم رأي كل إنسان ولا تتجاهل أحدا مهما كان رأيه، وتحاول دائما أن تستنفر همم الناس وطاقاتهم، شخصية تعودت التنازل عن الرأي والمنصب، إذا ما استدعى الأمر.

إنه ببساطة.. الإخلاص.. الذي يزينه الحكمة ويصقله العلم.. الإخلاص الذي نحتاجه بشدة، لنحمي الأمة من كوارث تعيشها كل يوم بسبب الفرقة.

إننا نحتاج كثيرا في زماننا هذا إلى من يجمع.. ولا يفرق.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com